خُذوا السياسةَ.. من فَمِ لافروف!..

الكاتب : محمد بسام يوسف

التاريخ : 30 ديسمبر 2012 م

المشاهدات : 8162

بفضل السياسة (الحكيمة!) لعباقرة الدبلوماسية الروسية، خسرت روسية حتى اليوم، معظمَ ما بقي من مرتكزاتها ونفوذها في منطقتنا العربية، لاسيما في العراق وليبية.

ولم يبق لها من نفوذٍ إلا في سورية، التي يحكمها طغاة لم يُنجِب التاريخ الحديث للبشرية مِثلَهم أو شبيهَهم، في الطغيان والفساد!.. لا غرابة ولا عَجَب، أليست هذه السياسة (الفذّة) لعمداء الدبلوماسية الروسية.. مُستَمَدَّةً من العمق الاستراتيجيّ التاريخيّ، لعباقرة الدبلوماسية الستالينية؟

التي انقرض ـبفضلهاـ ما كان يُسمى بالاتحاد السوفييتي، وتبعثرت دوله الخمس عشرة إلى شظايا، ووصلت (برَكَاتها) إلى دول أوروبة الشرقية وحليفاتها في العالم كله؟!..

أوَلَم تخسر الدولة السوفييتية المنقرضة: مصرَ والسودان، وهي في أوج قوّتها؟!..

ثم اليمنَ الجنوبيَّ والجزائر، وهي في حضيض ضَعفها؟!..

ألَم يبرهن الروس من خلال هذا التاريخ (العريق المُشرق) كله، أنهم في غاية البراعة السياسية؟!.. التي يزعمون أنهم يُتقنون فنونها من ألِفِها إلى يائها، فلا هم يستفيدون من التجارب في أوج قوّتهم، ولا هم يَغنمون في حضيض ضَعفهم!..

وذلك كله، بفضل خبراتهم السياسية المتراكمة!، التي لم تعلِّمهم الدروسَ السياسية البنّاءة، خارج نطاق الأيديولوجيا والقوالب الشيوعية الحمراء!..

بدءاً من عام 1960م، اشتهر السوفييت بسياسة (الحذاء).. حذاء خروتشوف، رئيس وزرائهم في ذلك الوقت، الذي خلعه في جلسةٍ رسميةٍ للجمعية العامة للأمم المتّحدة، وضرب به الطاولةَ التي أمامه، مُثيراً ضحك الزعماء الحاضرين وقهقهاتهم، بينما علّق ـبخُبثٍـ رئيس الوزراء البريطاني (هارولد ماكميلان)، الحاضر في القاعة نفسها آنذاك: [هل لكم أن تُتَرجِموا لي ما يقوله الروسيّ خروتشوف، فأنا لا أفهم اللغة الدبلوماسية الروسية]!..

وهو الأمر الذي دفع علماء النفس، ليضيفوا إلى قاموس المصطلحات النفسية، مصطلح: (دبلوماسية الحذاء السوفييتية)، وعرّفوها بأنها: [أقصر السبل لخسارة تقدير الناس الأصحّاء]!..

منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة الشعبية السورية، حذّر عميد الدبلوماسية الروسية من قيام دولةٍ (سنيّة) في سورية!..

ولم نكن قد اكتشفنا في ذلك الوقت، أنّ لافروف العلمانيّ الأرمنيّ، يهتمّ بإحصاء أعداد السوريين من كل طائفة، وبِنِسَبِها في المجتمع السوريّ، فسياسته (الحاذقة) تقتضي، أن تبقى الأقلية الأسدية مستمرّةً في حكمها وطغيانها ودكتاتوريّتها وفسادها، ولا يحق للأكثرية الكاثرة ـحسب السياسة الديمقراطية الروسيةـ أن تحكم البلاد!..

ولعل هذه (الحكمة) قد استمدّها من أصدقائه الإيرانيين الإثنا عَشريّين، فأضاف إلى فنونه السياسية، باباً من أبواب الحماقة الصفوية الفارسية!..

ثم أمعن (النجيب) لافروف، في اتهام الشعب السوريّ وثورته، فأطلق على الثوار ألقاباً عدّة، لعلّ أشدّها (نبوغاً) لقب: العصابات المسلَّحة، وهي العصابات نفسها التي يدعوها اليوم لحوار (الطرشان)!..

فأضاف إلى (مهاراته) السياسية العظيمة، بُعداً جديداً، مُستَمَدّاً من غباء المنطق الأسديّ، المغروف من مفاهيم العصور الوسطى الأوروبية!..

وما يزال (لافروف) يحدِّثنا عن الحلّ السلميّ والسلام، حتى كدنا نكتشف، بأنّ السلاح الذي يقتلنا به صاحبه الحميم وحليفه بشار، ويُدمِّر به سورية، ويُهلِك الزرع والضّرع.. مصنوع في كوكب بلوتو، ومشحون بسفنٍ مستأجرةٍ من كوكب عطارد، تمخر مياه البحر الأبيض المتوسّط، ثم (تهبط) في القاعدة الروسية بميناء طرطوس!..

وما يزال (النابغة) اللافروفيّ يهدِّدنا ـكَصاحبه (النزيه) الأخضر الإبراهيميـ بقتل المزيد من آلاف السوريين، إن لم نستسلم لحلوله السياسية (العظيمة)، المصنَّعة في موسكو و(جنيف) ظاهرياً، وفي واشنطن ولندن باطنياً..

حتى ظننا أنّ أبطال جيشنا الحر، وثوارنا الأماجد.. لم يصلوا بعد، إلى مطار دمشق الدوليّ، ولم يَتَسَلّوا حتى اللحظة، بِدَكّ القصر الأسديّ، (العامر) بالرعب والهزيمة والجلطات الدماغية والقلبية والرئوية لسكّانه!..

العبقرية السياسية الروسية، لم تكتشف بعد، أنّ إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مصالح روسية وهيبتها في القلعة الأخيرة لها بالمنطقة العربية، التي داسها أبطال سورية بنعال أطفالهم ونسائهم.. لا يكون بالسياسة القاتلة نفسها، التي جعلت مُلْكَ روسية ونفوذها ومصالحها في ليبية.. قاعاً صفصفا!..

لكنّ المكابرة الفارغة هي عماد السياسة بالمفهوم الروسيّ، ودبلوماسية (الحذاء) هي أعظم ما لديهم من فنون، فهم لا يكترثون بألف باء السياسة (لا نقول الأخلاق) التي تدعوهم للاصطفاف إلى جانب الشعوب الباقية، التي تنشد التحرّر والحرية.. بل يستمرّون في دعمهم للطغاة الزائلين على أعين الناس أجمعين، فلا يقبضون إلا الريح التي حصدوها ـبجدارةٍـ في ليبية!..

ربما.. نقول: ربما، يفهم الروس فنون السياسة التي يتمتع بها الأسوياء من البشر، عندما يَرون ـبأمهات عيونهمـ جنودَهم الصناديد، وهم يُطلِقون سيقانهم لريح طرطوس، فيغرق منهم، حتى مَن يُجيد السباحة، في مياهنا الإقليمية.. تماماً، كما أغرق السوريون ـبدمائهمـ السلاحَ الروسيّ المتطوِّر، ودفنوا حُطامَه ـبعد أن بَـهدلوهـ في أعماق ترابهم الوطنيّ السوريّ!..

لم تعد روسية (العظمى) بحاجةٍ للاعتذار إلى الشعب السوريّ فحسب، كما صرّح السياسيّ السوريّ الأصيل (عديم الخبرة!) أحمد معاذ الخطيب..

بل صار شبّيحُ دبلوماسيّتها لافروف، مَديناً بالاعتذار إلى الأستاذ الخطيب نفسه أيضاً!.. وهنا يمكننا أن نلمسَ بوضوح، حماقةَ السياسة الروسية التي يقودها الوزير لافروف في القرن الحادي والعشرين.. وهي سياسة تبدو ـولا فخرـ مستمدّةً من (الخبرة) السياسية لمخلوقات العصر الطباشيريّ!..

المصادر: